الفصل الثانى
في الاقتصاد الإسلامي والأخلاق

﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم ﴾ (٤٧)

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (٤٨)

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (٤٩)

---

(٤٧) سورة آل عمران : الآية ١٩٥.

(٤٨) سورة القصص : الآية ٧٧

(٤٩) سورة المائدة : الآية ٢

الفرع الأول
في قواعد الاقتصاد الإسلامي والأخلاق

المبحث الأول

مصطلح الاقتصاد الإسلامي

يتسع مصطلح (الاقتصاد الإسلامي) للقيم العليا ولكل مسمى يبتغى به الإنسان الرزق الحلال، ولاقتصاد الدولة وماليتها، وتدبير الأسرة والرجل الواحد، وإلى أن يكون نقيض الإسراف على النفس، أو في المال، وأنه حرب على الحرام في المكسب أو المغنم، ويعنى أعظم العناية بالفقراء، ومن ثم يستحق وصفه الإسلامي.

ويرى بعض العلماء تسمية الاقتصاد الإسلامي (علم الإعمار) قياسا على (أعمره دارا)[٥٠] وأخذ بالنص القرآني: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾[٥١]، وقوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾[٥٢].

ومن أقسامه - عز وجل -: ﴿والبيت المعمور﴾[٥٣] ومن آياته: ﴿وأثاروا الأرض وعمروها﴾[٥٤].

---

(٥٠) الدكتور رفعت العوضى، أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر في مؤلفاته، وفي مجلة الاقتصاد الإسلامي.

(٥١) سورة هود الآية ٦١

(٥٢) سورة التوبة الآية ١٨

(٥٣) سورة الطور الآية ٤

(٥٤) سورة الروم الآية ٩

وربما أيد هذا النظر استعمال بناة الدول له. يقول طاهر بن الحسين لابنه عبد الله – الأول – قائد من قواد المأمون ولاه خراسان، والثانى نائب أبيه في القيام بهذه الولاية –: (وليكن كنز خزائنك في "عمارة" الإسلام وأهله) وهى وصية قائد منتصر تنسب إليه الدولة الطاهرية التى قامت بين عامى ٢٠٥– ٢٥٩هـ / ٨٢٠– ٨٧٣م في خراسان كما قاد جيش المأمون بمصر سنة ٢١٥هـ.

لكن تعبير (الاقتصاد) تعبير قرآنى في الموضوع لا ينبغى العدول عنه الى تعبير جديد يقول – جل ثناؤه –: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ر بهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء مايعملون﴾[٥٥] فهذا تعبير عن التوازن والاعتدال وحسن الإدارة في أمة لا تترفها النعمة.

والاقتصاد لفظ يتسع للإعمار وغيره كقوله – تعالى –: ﴿واقصد في مشيك﴾[٥٦] وقوله: ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾[٥٧] وقوله: ﴿وعلى ا لله قصد السبيل ومنها جائر﴾[٥٨]، وقوله: ﴿لو كان عرضاً قر يباً وسفراً قاصداً لا تبعوك﴾[٥٩] وقوله – تبارك وتعالى – في الإنفاق: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾[٦٠].

---

(٥٥) سورة المائدة الآية ٦٦

(٥٦) سورة لقمان الآية ١٩

(٥٧) سورة فاطر، الآية ٣٢

(٥٨) سورة النحل الآية ٩

(٥٩) سورة التوبة الآية ٤٢

(٦٠) سورة الفرقان الآية ٦٧

ورسول الله يقول عن المال والعيال "ما عال من اقتصد".

والإمام جعفر الصادق يقول: (ضمنت لمن اقتصد ألا يفتقر).

والإسراف في اللغة: "تجاوز القصد"، والقصد في اللغة: الرشد. و"القصد في الأمر": توسط واعتدال وطلب الأسد، وعدم تجاوز الحد.

والطريق القصد، أو السفر القصد: هما الطريق السهل، أو السفر السهل، ومن حسن الإدارة وطيب العيش قيل: الاقتصاد نصف المعيشة.

المبحث الثانى:

في الأخلاق

الخلق: السجية. والله - تعالى - يقول لرسوله -ﷺ- مؤكدا ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(٦١).

ولما سئلت أم المؤمنين عائشة عن خلق رسول الله، أجابت: "كان خلقه القرآن" ومن ذلك حديثه: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وحديثه: "البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس".

والخلق طريقة حياة. وسلوك والمسلم حثيما كان يتغيا رضوان الله بحسن السلوك.

والله يقول: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾(٦٢).

والتقوى رأس الأمر كله وفيما يلى بعض علامات على الطريق:

---

(٦١) سورة القلم الآية ٤

(٦٢) سورة الطلاق، الآيتان ١، ٣

يقول عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما –: كنا مع النبى –ﷺ– فقال: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، تؤتى أُكُلها كل حين بإذن ربها وهى كالمؤمن، أخبرونى ما هى؟ – واستمر يروى الحديث –: فوقع الناس في شجر البوادى – وكنت صبياً – فوقع في نفسى أنها النخلة، ولكنى هبت رسول الله أن أقول وأنا أصغر القوم، فقال –ﷺ–: "إنها النخلة".

وأول ما نشهده في النخلة السمو والاستقامة والصلابة، واتجاه أوراقها في معاليها نحو كل الاتجاهات ليكون منها لكلها نصيب، وكأنما خلقها الله لتكون مثالا لأخلاق الإسلام في كل الأنحاء أما ثمرتها فتحوى من حلاوة السكر أكثر مما يحمله ثمر أي من الشجر (٩٠٪).

ويقول – عليه الصلاة والسلام –: "ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق" والله تعالى يحب معالى الأمور ويكره سفسافها، ومن ذلك يقول –ﷺ– لأبى ذر "أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن".

ويقول عن التجارة "إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان لهم لم يعسروا".

والخلق الحسن حيثما كان الإنسان من أظهر الدلالات على صدق إيمانه(٦٣).

---

(٦٣) وربما أغنى عن بحث الأخلاق في المجتمع الأوربى القائم على عبادة المال والعمل له دراسات تثبت تأثر الإنجليز بالدين ومحاربة أوربة له في الاقتصاد، وهى دراسات في كتاب جمع أبحاثاً في السبعينات والثمانينات من هذا القرن لمؤلفة على عزت بيجوفتش رئيس جمهورية البوسنة والهرسك تحت عنوان "الإسلام بين الشرق والغرب"، وفي الفصل الثالث عشر يقول: لن تستطيع حركة دينية في أوربا أن تبنى برنامجاً اجتماعياً،=

=وسيظل دين أوربا والحادها سادرين في طبيعتهما المتطرفة. ولكن يوجد جزء من العالم الغربى - بسبب موقعه الجغرافى متحرر من التأثيرات المباشرة لمسيحية القرون الوسطى، متحرر من العقد المستعصية لهذا العصر.

لقد قضى الإصلاح الدينى في انجلترا - بمنطق نظرى - على كل من الطرفين المضادين: (السيطرة البابوية والملَكيَة) وهذه الثنائية في أسلوب الحياة الإنجليزية يمكن فهمها إذا فهمنا موقف (روجير بيكون) الذى يعتبر مؤسس ورائد التقدم الروحى الإنجليزى الحديث، لقد أكد بيكون على المكونات الدينية وظل ثابتا على ثنائيته كما فعل الإسلام...

ولكن تبقى حقيقة هامة عن بيكون (روجير بيكون ١٢٩٤) لم تتم دراستها دراسة كافية والاعتراف بها. وهى أنه أب للفلسفة والعلوم الإنجليزية في حقيقة الأمر وكان تلميذاً مخلصاً للثقافة العربية وقد تأثر تأثيراً قوياً بابن سينا (٤٣٨هـ) الذى اعتبره بيكون أعظم فيلسوف ظهر بعد أرسطو...

ويقول على عزت بيجوفيتش إن التضاد بين الطبيعى وبين الأخلاقى الذى يتميز به المدخل المسيحى أصبح في الإمكان التوفيق بينهما عند عدد من المفكرين الإنجليز).

وبعد سرد موجز لرجال الفكر أصحاب الطريق الوسط يقول (يوجد من هذه النجوم إسم من ألمع الأسماء هو آدم سمث Adam Smith ألف كتابين بينهما تناقض ظاهرى ولكنهما متكاملان من حيث المضمون.

أحد هذين الكتابين هو (نظرية المشاعر الأخلاقية) والثانى هو (بحث في طبيعة وأسباب تقدم الأمم) ويعتبر الكتاب الأخير من أكثر الكتب تاثيراً في فكر القرن الثامن عشر ويعالج الكتاب الأول موضوع الأخلاق أما الثانى فيتناول الاقتصاد ويتخذ لفكرته الأساسية مبدأ الأنانية. وكان آدم سمث يدرس الأخلاق والاقتصاد والسياسة بجامعة جلاسجو كأجزاء متكاملة من برنامج دراسى متكامل..

ويقول نقلاً عن كروسمان (كان انتصار الليبرالية مؤديا إلى تجديد الدين في انجلترا في العصر الفكتورى (القرن التاسع عشر) ولم يكن هذا ليحدث في مكان آخر سوى أمريكا، بينما نجد أن التقدم والديمقراطية عند الليبراليين الألمان والإيطاليين هى=

وفي الثواب عليه يقول - تعالى -: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[٦٤] و﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفكسم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[٦٥]، ومن الشح اللدد، ورفض الصلح، والامتناع عن العفو.

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: سمع رسول الله -ﷺ- صوت قوم بالباب عالية أصواتهم، وإذا أحدهما يسترجع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله -ﷺ- فقال: "أين المتألى على الله لا يفعل المعروف؟" فقال: أنا يارسول الله، وله (لخصمه) أى ذلك أحب.

=موضوعات قاصرة على العلمانيين، فالمومنون بالكاثوليكية يعتقدون أنه لا يوجد جسر على الثغرة الفارقة بين الإيمان بالمسيح والإيمان بالتقدم، والمومنون بالتقدم يعتقدون أن الدين لا علاقة له بالتقدم أو الحرية).

ويقول عن انجلترا (حتى الاشتراكية الإنجليزية هى الأخرى من نوع مختلف. نستمع من منصة حزب العمال اقتباسات من الكتاب المقدس مثلما نسمعها من منبر الكنيسة هناك).

وقد وضحنا في كتابنا القرآن والمنهج العلمى المعاصر تأثير المسلمين وعلومهم في القديسين البرت الكبير وتلميذه توماس الاكويني وهما يمثلان الدومانيكان كما أشرنا إلى إعظام روجير بيكون للفلسفة العربية وهو القائل عن ابن رشد (إنه فيلسوف متعمق صحح الكثير من أغلاط الفكر الإنسانى وأضاف الى ثراث العقول ثروة لا يستغنى عنها وأدرك كثيراً مما لم يكن قبله معروفاً لأحد)، وكان بيكون من كبار الدارسين للكندى وابن القيم، وبيكون يمثل مبادئ الإصلاح الدينى الانجليكانى، وبهذا يجتمع على إعظام الفلسفة العربية القسمان في المسيحية

(٦٤) سورة يونس الآية ٢٦

(٦٥) سورة التغابن الآية ١١

وسب رجل رجلاً عند رسول الله فجعل الرجل المسبوب يقول للرجل: عليك السلام. قال -ﷺ-: "أما إن ملكا يذب عنك، كلما يشتمك هذا قال له: بل أنت، وأنت أحق به".

وفي إحياء علوم الدين للغزالى روى عن ابن قتيبة ... مر بى بشر بن عبد الله ابن أبى بكرة فقال: ما يجلسك ها هنا؟ قلت خصومة بينى وبين ابن عم لى. قال: إن لأبيك عندى يدا، وإنى أريد أن أجزيك بها، وإنى والله ما رأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة.

فقمت لأنصرف، فقال لى خصمى: إنك عرفت أن الحق لى.

قلت لا: ولكن أكرم نفسى عن هذا.

قال: فإنى لا أطلب منك شيئا. هو لك.

ومن الأمانة الصدق والوفاء والرحمة والحياء والتكافل والسخاء والعفة وصلة الرحم وطيب المطعم والمعونة على النوائب والبر بالغير، والإتفاق في الخير، والمساهلة في المعاملة.

والدين أمانة والتزام بكل الإسلام، وأخلاق التاجر المسلم وجه من وجوه عبادته لله، ولذلك أدخلت تجارات المسلمين في الإسلام أكثر الأمم التى أسلمت، ولم تعد الانتصارات الحربية أن كانت أصواتا تنطق في مواقعها أو في قريب منها.

والمسلمون عليمون أن الله يرزق الناس بعضهم من بعض، وأن الرزق كله من عنده، وأنه يجزى الحسنة الواحدة عشر حسنات، وربما شاء فأعطى أكثر، والمسلمون على ذكر دائم له - سبحانه - بالعبادات والمعاملات، والرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول: "إياكم والطمع، فإنه الفقر الحاضر".

والطمع إحساس بالحاجة إلى مزيد، والغنى الحق هو عدم الحاجة.

والرسول يقول: "إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على قلب أخيك المسلم". "وإن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم".

ويبشرنا بقوله: "إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق".

ويقول "أفضل الصدقة جهد المقل".

وكان -ﷺ- يقول: "الضعيف أمير الركب" وكان يتجوز في صلاته إذا سمع بكاء طفل لشدة وجد أمه من بكائه، ويقول: "من اطلع في كتاب أخيه المؤمن بدون إذنه فقد أطلع في النار" ويقول "حديثكم بينكم أمانة ولا يحل لمؤمن أن يرفع على أخيه المؤمن".

وينهى عن الكبر بقوله: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان".

نهى - يوما - عن مجالسة الموتى، فساله رجل: ومن الموتى؟ فقال: "كل غنى قد أبطره غناه".

وعندما قدم أبو عبيدة بمال كثير من البحرين قال للناس: "أظنكم سمعتم بقدوم أبى عبيدة وأنه جاء بشيء، فأبشروا، وأمّلُوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخاف عليكم ولكنى أخشى أن تبسط الدنيا عليكم فتَنَافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم"، فهو يسمى المال الكثير شيئا، ويحذرنا من أن تلهينا الحياة، وينشيء أمته على ما تراه من عمله وخلقه العظيم كما وصفه الله سبحانه.

* * * * * *

وهو غوث للمستغيثين ولو كانوا أعداء يتربصون به وبالمسلمين؛ استغاثت به قريش ليتوسط لدى أهل نجد ليرسلوا إليها قمحا منعوها منه، فتوسط ليطعموا من جوع ولم يأخذهم بذنوبهم حين أجاعوه وأهله بحصارهم في الشعب حتى أكلوا أوراق الشجر، وبهذه الوساطة علمنا أن الإسلام "أخوة إنسانية" وأن الكريم يعفو ولا يهفو.

ومن أوامره لأمته: "أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك".

وهو ولى الأمر الذى يؤثر على نفسه فقراء قومه، جاءته هدية فقال: اذهبوا بها إلى دار عبادة بن الصامت، فذهبوا، قال عبادة: – وهو يعول اثنى عشر من أهل بيته – أذهبوا بها إلى من هو أحوج منا، فصاروا يرسلونها من فقير إلى فقير حتى رجعت إلى دار عبادة. وقد شهد الجميع أنه أحوج الجميع.

ومن دروسه في حساب الدنيا والآخرة يسأل صحبه "أتدرون من المفلس؟ قالوا: من لا درهم له ولا متاع. قال: المفلس من يأتى بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار".

ومن دروسه في هذا الحساب ما يجمع الفقه والقضاء وكنوز الدنيا وبيع العقارات: قال لصحبه: "اشترى رجل ممن كان قبلكم عقارا من رجل، فوجد الذى اشترى العقار في عقاره جرة من ذهب، فقال للبائع: خذ هذه عنى، إنما أشتريت العقار ولم أبتع الذهب، قال بائع الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذى تحاكما إليه: ألك ولد؟ فقال أحدهما: لى غلام، وقال الآخر: لى جارية، فقال: أنكحوا الغلام الجارية وتصدقوا.

والأسرة السعيدة، والإحصان والترويج مقاصد شرعية في صدارة الاجتماع والاقتصاد.

يقول لرجل يريد الزواج: "هل عندك شيء تصدقها إياه"؟ قال الرجل: ما عندى إلا إزارى، قال -ﷺ-: "إن أعطيتها إزارك جلست ولا إزار لك فالتمس شيئا" قال: "ما أجد شيئا" قال: "التمس ولو خاتما من حديد" فلم يجد. قال: "هل معك شيء من القرآن؟" قال: نعم. سورة كذا وكذا، قال نبى الرحمة: "قد زوجتكها بما معك من القرآن" أو قال: "علمها القرآن".

وتجيئه فاطمة بنت قيس تقول: "إن لى سبعين مثقالاً من ذهب. فيقول لها: "اجعليها في قرابتك. أو تجيئه مستشيرة في خطيبين خطباها من عظماء الصحابة فيقول لها: "أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو حذيفة فلا يضع عصاه عن عاتقه" وأمرها بأسامة بن زيد فتزوجته، وبورك لها من كل وجه، تزوجت حِبه وابن حبه، وفي دارها اجتمع أصحاب الشورى الذين اختاروا أمير المؤمنين عثمان للخلافة، واقترنت بأصغر قواد الرسول شباباً، وآخرهم قيادة، وهو أول قواد أبى بكر؛ إذ أنفذ جيشه إلى العدو، وعاد مكللاً بالنصر.

وعلى الجملة:

فالقرآن الكريم يخاطب الإنسان حيثما كان ويجمع بين التصديق والعمل والالتزامات القانونية في أخلاق الفرد والدولة أو المجتمع وفي حقوق العدو والصديق وحياة الأسرة ونشاط السوق. وبالأتمار بالمعروف والابتعاد عن المنكر تنسجم إرادة المخلوق مع إرادة الخالق ﴿صنع الله الذى أتقن كل شيء﴾[٦٦] و﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾[٦٧].

---

(٦٦) سورة النمل الآية ٨٨

(٦٧) سورة البقرة ١٣٨

المبحث الثالث:

العمل والرزق

الرزق رزق الله، وهو بعض التوفيق في الحياة الدنيا، والإنفاق منه وأجب بالنص. يقول تعالى عن المتقين إنهم: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾[٦٨] ويقول - تبارك وتعالى -: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾[٦٩].

وهو - سبحانه وتعالى - ﴿الرزاق ذو القوة المتين﴾[٧٠] يقول: ﴿قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾[٧١].

والعمل أو التجارة لا يضمن الرزق، وإنما يضمنه الله تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾[٧٢].

ويقول: ﴿وكأين من دآبة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾[٧٣]، فالرزق من الله وحده لكل خلقه.

قال - تبارك وتعالى -: ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[٧٤].

---

(٦٨) سورة البقرة الآية ٣

(٦٩) سورة الذاريات الآيتان ٢٢ - ٢٣

(٧٠) سورة الذاريات الآية ٥٨

(٧١) سورة الجمعة الآية ١١

(٧٢) سورة سبا الآية ٣٩

(٧٣) سورة العنكبوت الآية ٦٠

(٧٤) سورة النور الآية ٣٨

والتوكل على الله مأمور به، يقول - تبارك وتعالى -: ﴿وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيراً﴾[٧٥]، ويقول: ﴿ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾[٧٦] ويقول: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[٧٧]، ويقول: ﴿فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[٧٨] وهو القائل: لعباده ﴿أليس الله بكاف عبده﴾[٧٩].

والوكالة من الله كفالة وحفظ، وهو تعالى يقول: ﴿الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل﴾[٨٠].

ومن مجموع هذه النصوص معان قطعية جماعها أن الرزق عطاء السماء، وأن النعمة رزق، ومنها الصحة، والحياة، والفضائل.

والعمل للرزق مأمور به، ورسول الله يقول "خير الرزق بيع مبرور، وعمل الصانع بيده"، ورأى يد صاحب له قد أثر فيها العمل بها، فقبلها وقال: "هذه يد لا تمسها النار".

ولما أخبروه عمن انقطع للعبادة سأل "من يعوله؟" قالوا: أخوه. قال: "أخوه أعبد منه".

فالعمل عبادة. يقول أمير المؤمنين عمر:

---

(٧٥) سورة النساء الآية ٤٥

(٧٦) سورة الأحزاب الآية ٤٨

(٧٧) سورة الطلاق الآية ٣

(٧٨) سورة آل عمران الاية ١٧٣

(٧٩) سورة الزمر الآية ٣٦

(٨٠) سورة الشورى الآية ٦

(لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، يقول: اللهم ارزقنى؛ فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة)، ويقول: (والله لو جاءت الأعاجم بالأعمال، وجئنا بغير عمل، لهم أولى منا بمحمد يوم القيامة).

والسعى للرزق مشغلة الإنسان الكبرى، ولم تتركه السماء سدى، بل تعهده الكتاب الكريم بالتهذيب والتربية ليرضى ويشكر.

والأوامر والنواهى تتواتر في هذا الباب على معانى الرضا والشكر **﴿ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾**(٨١).

ومن النواهى: **﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسآء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيءٍ عليماً﴾**(٨٢).

والرضا والشكر مفتاحان للسلام النفسى الكامل، وللسلام الاجتماعى والعالمى جميعا.

يروى عبد الله بن مسعود قال رسول الله -ﷺ- لأمته: "إن الله قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه، قالوا: وما بوائقه؟ قال: غشمه وظلمه، ولا اكتسب عبد مالاً حراماً فتصدق به وبارك الله فيه، ولا يدعه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار".

---

(٨١) سورة الأنفال الآية ٢٦

(٨٢) سورة النساء الآية ٣٢

المبحث الرابع:

العمل والمال

الذين يقطعون الصلة بين المعاملات وبين الدين يفصلون بين شطرى الإيمان وهما: الإقرار بالشهادتين، والعمل الصالح، والله قد جعل العمل دليلا على صدق العقيدة. في سائر الفرائض عمل، فالصلاة دعاء وذكر على مدار العمر، والصوم عمل بالجوع أو المشقة على مدار شهر في كل عام، والحج عمل شاق فيه دربة وتعليم وعبادة وتكافل، والزكاة عمل بالمال وتوزيع له على من يعمل به، أو يسد به حاجة.

والله تعالى يقول: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[٨٣].

ولما جاء بيت الرسول من يستقلون عبادته شرح لهم المنهج عملياً ليوجه القعدة إلى أن يعمل.

ويقول عليه الصلاة والسلام: "طلب الحلال فريضة بعد الفريضة" و"إن الله يحب العبد المحترف".

وعمر يقول للمتماوتين: "لا تميتوا علينا ديننا"

كان المهاجرون من مكة إلى المدينة يتواترون زرافات ووحدانا، ثم قدم رسول الله إلى "المدينة" فأصبح أهل المدينة "الأنصار" يقاسمون المهاجرين الأرزاق "بالعمل" في مال الأنصار: كان لسعد بن الربيع زوجتان، فقال لعبد الرحمن ابن عوف: ايهما تختار؟ قال: لا، ولكن دلنى على السوق، فدله، ولم يلبث طويلا حتى أبلغ رسول الله أنه تزوج، ومهر زوجته نواة من الذهب.

ومن عمل المهاجرين في زراعات الأنصار كان عقد المزارعة في الشريعة أسبق في الوجود من عقد الإجارة.

---

(٨٣) سورة التوبة الآية ١٠٥

وأسهمت تجارات السوق "المحلية" ثم السوق الخارجية، وأرباح الصحابة الكبار في حمل أعباء الحروب، وهكذا نشأ النشاط الإسلامي في الاقتصاد بالمدينة نشأة تعاون بين الناس، أو مع الدولة، فأصبح العمل – والعمل بالمال مع التعاون – في شتى وجوهه – أركاناً أساسية للاقتصاد الإسلامي حتى الآن.

والتعاون فرض كفاية، وإن وجب بعضه، وليس الواجب على سبيل الكفاية أقل شأنا من الفرض الملزم.

ومن أمثال الواجب على سبيل الكفاية واجب الجهاد وطلب العلم، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وصلات ذوى الأرحام، والإنفاق في سبيل الله بوجه عام، لو لم يقم بها المجتمع كان مرتكبا للمعصية، وإنما يجزئ عن المسلمين قيام بعضهم بها، وكثيرا ما يتعين على أمرئ بذاته أن يقوم بها كالمتخصص أو القادر وحده.

يقول – تعالى –: ﴿**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**﴾[٨٤] ليعلمنا أن العمل لا يسبقه شيء إلا أن يقف الإنسان بين يديه، وأن علينا ذكر الله وشكره باستمرار.

* * * * * *

ولقد كان رسول الله –ﷺ– أكثر الناس عملا في الحرب والسلم والفكر والفعل.

وعمل أبو بكر الصديق بالتجارة قبل الهجرة وبعدها، وفي خلافته لرسول الله آية على أن الصدق وأمانة الأداء تتصدران كل عمل.

---

(٨٤) سورة الجمعة الآية ١٠

وهو عليم بحديثه -ﷺ- "إن من الذنوب ذنونا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة، وإنما يكفرها الهموم في طلب المعاش" وحديثه: "إن الله يحب أن يرى عبده تعبا في طلب المعاش" وحديثه "الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله".

كان قبل الخلافة يحلب لجيرانه نياقهم، ويسأل اللواتى يجئن إليه: أأرغى أو أصرح؟[٨٥] ولم تلهه (حروب الردة) عن أن يحلب لهن.

وخرج بعد استخلافه يحمل ثيابا يبيعها، ليقوت أهل بيته، فمنعه المسلمون وقدروا له درهمين عن كل يوم ليخلص للخلافة.

وذات يوم سقط خطام ناقته من يده فنزل والتقطه.

قالوا: هلا أمرتنا؟!

قال: أمرنى رسول الله -ﷺ- ألا أسأل الناس شيئا أى: (ما يقدر على عمله بنفسه) وبهذا يأمر -ﷺ- أن يعمل كل أمرئ بيده فيما يخص نفسه ما يقدر على عمله، وإن كان يستطيع تكليف غيره به.

ومن بعد خليفة رسول الله عمل عمر لله وللناس في خلافته، يسهر لينام، ويحمل على كتفه الدقيق ويصطحب زوجته ليساعدا امرأة في ولادتها في الليل البهيم، ويعس ليتفقد أحوال الأمة بنفسه، ويجوع كما يجوع الناس، ويحلن لهم أن عليه أن يعنى بالناس وأن يعنيه ما يعنيهم، واشتد جوعه حتى هزل جسمه.

ومن بعد الفاروق جاء عثمان - ذو النورين - وكان يحدر إلى الثمانين أو منها، وكانت أمواله من تجارته عونا للأمة في سلمها وحربها، حتى قال فيه رسول الله -ﷺ-: "ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم" وقال لأبى موسى

---

(٨٥) الإرغاء تكوين الرغوة، والتصريح: ألا توجد رغوة

الأشعرى إذ يستأذن لعثمان في الدخول عليه: "بشره بالجنة على بلوى تصيبه" وبشره أبو موسى فدخل وهو يقول لأبى موسى: "الله المستعان" وبهذه البلوى تسور الثوار داره ظالمين، فأمر ألا تراق لأجله قطرة دم مسلم، واستشهد!!

وكان عثمان بن عفان يروى عن رسول الله -ﷺ- قوله "الصبحة[٨٦] تمنع بعض الرزق" وقوله: "إذا صليتم الفجر فلا تناموا عن أرزاقكم".

وجاء دور أمير المؤمنين على، وهو بطل حروب النبى، احتكم هو وزوجته فاطمة الزهراء إلى رسول الله -ﷺ- فقضى أن عليه العمل في خارج الدار، وعليها العمل في داخلها، فكان يحمل الدقيق على كتفه ويقول:

لا ينقص الكامل من كماله ∴ ما جر من نفع إلى عياله

ولما تكاثرت على فاطمة الأعباء بولادة البنين واحدا إثر واحد طلبت إلى أبيها أن يخدمها واحد من سبى الغنائم، فوصاها بالصبر، ثم جاءته مع بنتى ابن عم له تطلبان أن يخدمهما بعض السبى فنصحهما بتسبيح الله مائة مرة، وأخبرهما أن التسبيح خير لهما من خادم.

هؤلاء أربعة من العشرة المبشرين بالجنة.

والخامس: عبد الرحمن بن عوف، لم يُر في عصره تاجر مثله؛ قاسم الله ماله الوفير مرات أربعة وكان يجلس بين عبيده فلا يعرف بينهم، وأعتق في مرة واحدة ثلاثين عبداً.

وكما عمل هؤلاء في خدمة الإسلام عمل السادس والسابع من المبشرين بالجنة: طلحة بن عبيد الله، وقد أصيب يوم أحد بسبعين جراحة!! وكانت تجارته الخارجية تستخدم القوافل[٨٧] والزبير بن العوام، وكانت له مجزرة

---

(٨٦) الصبحة الغفوة في الصبح

(٨٧) كانت غلة طلحة في اليوم ألفا أوقية، وكانت تركة الزبير ٥٧ ألف ألف درهم، أما عثمان فكانت آخرة صدقاته للمسلمين ١٤٠ ألف دينار، سبقتها حمولة قافلة ٧٠٠ =

بالمدينة، والزبير فارس النبى وفاتح حصن بابليون ليستسلم الرومان بمصر، وهو واحد من القواد الأربعة للجيش الذى أمد به عمر عمراً لفتح مصر، وقال له عنهم: كل واحد منهم بألف.

وأبو عبيدة وسعد بن أبى وقاص هما فاتحا الشام وفارس، لم يعرف للأول مال ولما فاجأه عمر في بيته وهو أمير الشام خرج يقول: (كلنا غرته الدنيا إلا أنت يا أبا عبيدة).

ولما عزم سعد أن يوصى للمسلمين بماله قال له -ﷺ- الثلث والثلث كثير ...

أما سعيد بن زيد فكان يعمل لرزقه ويتعبد.

ورسول الله -ﷺ- لا يترك نصف الناس - وهو النساء - دور تكليف بالعمل، وفي ذلك قوله: "نعم لهو المراة في بيتها المغزل" وقد كرمهن يوم وفدت على مجلسه وافدة النساء تطلب أن يأذن لهن بأن يعملن كالرجال معه "وعددت أعمالا" وآجابها بأن حسن تبعل المراة لزوجها، وحملها منه يعدل ذلك كله.. وهى إحدى بطلات الحروب كما تنبئنا كتب السيرة.

ومن دروس أمير المؤمنين على للأمة أن صحابيا جاء يشكو أخاه إذ تزهد وترك العمل. فقال: علَى به.

وجئ به، فقال له: (يا عدو نفسه: لقد استهام بك الخبيث (الشيطان) أما رحمت أهلك وولدك؟! أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك).

=بعير ارتجت لها أنحاء المدينة، فجعلها لأهلها، ومن صدقات عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك ٧٠٠ أوقية من الذهب سلحت ثلث الجيشى (٣٠ ألفا) وكان تمويل عثمان لهذا الجيش أكثر، ومن صدقات عبد الرحمن جهاز المحاربين بخمسمائة وألف فرس، وأربعين ألف دينار

والإمام جعفر الصادق إمام أهل البيت يحبب العمل إلى الناس فيقول عن شدائد العمل في الدنيا: (ليس لأحد وإن ساعدته الدنيا بمستخلص غَضَارة العيش إلا من خلال مكروه).

والإمام مالك يوسع أبواب العمل للمسلمين بقوله: (طلب الرزق ولو في شبهة أحسن من الحاجة إلى الناس).

وسفيان الثورى - وهو إمام في التصوف، والفقه، والزهد - يقول عن أموال تجيئه من مشاركة قليلة في الربح: (لولا هذه الدنانير لتمندل علينا الملوك).

والعمل للنفس كالعمل للناس سواء عند الله والناس، والسنة تأمر بأن يعطى الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، وأن يعرف هذا الأجر قبل أن يبدأ العمل، وهو -ﷺ- يوصى بتعلم الحِرَفِ، وحسبنا في هذا مثل واحد يوم جاءه من البدو رجل يسأله، فقال -ﷺ- له: "أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه. فأمره رسول الله -ﷺ- أن يأتيه بهما، فأتاه بهما، فقال للجالسين "من يشترى هذا؟

قال رجل: أنا. بدرهم.

قال -ﷺ-: من يزيد؟ قالها مرتين أو ثلاثا.

قال رجل: أنا. بدرهمين.

وأخذهما رسول الله وقال للرجل: "اشتر بأحدهما طعاماً، وبالآخر فأساً فأتنى به".

فأتاه به، فشد الفأس على عود، وأعاده إليه وقال له: "اذهب واحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوماً".

وعاد الرجل في الميعاد ومعه مال اقتصده. فقال له رسول الله -ﷺ-: "هذا خير من أن تجئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة".

فهو لم يعط صدقة يشترى بها أكلة أو أكلات، بل علمه حرفة مكتوباً لها الدوام. وعلم الأمة بيع "من يزيد".

ورأى عمر قوماً قعوداً بطالين[٨٨]، فنادى: من أنتم؟

قالوا: نحن المتوكلون.

قال: بل أنتم الذين تأكلون أموال الناس بالباطل.

المبحث الخامس:

العمل بالمال وتكليف العامل بابتغاء الآخرة

يكفى الباحث في أمر المال في الإسلام آيتان:

١- ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملاً﴾[٨٩].

٢- ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾[٩٠].

وهذا القول موجه إلى قارون وقد آتاه الله من الكنوز ﴿ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولى القوة﴾ وقال له قومه ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾.

فالمال في الآيتين مفضول بالعمل الصالح وصاحبه مكلف فيه بابتغاء الآخرة.

والاقتصاد الإسلامي مفتوح للعمل الصالح والمال الطيب، وللوفرة والثروة إذا أدى الإنسان لأصحاب الحقوق ما يستحقون ومنه الإنفاق في

---

(٨٨) من البطالة

(٨٩) سورة الكهف الآية ٤٦

(٩٠) سورة القصص الآية ٧٧

الزكاة وفي الصدقات وهى قيد عام على المال, بمثل أن الجهاد والاجتهاد أمران مندوب إليهما لكنهما يصيران فرض عين في حالات خاصة، وقد تتكاثر الحالات فيشترك في الالتزام بها كثيرون.

والمعاملات تجارة مع الله والناس، واكتساب الرزق فيها نهوض بحاجات الجماعة وأفرادها، وفيها مرافق ومهن في الزراعة والصناعة والتجارة وأداء الخدمات ... وكان الأولون يؤثرون الصانع على الزارع، ومن الأقاليم ما يحوج إلى الزراعة فتكون طلبة المجتمع، لكن التاجر الصدوق يحترف أشرف الحرف. فمن العشرة الذين بشرهم صاحب الشريعة بالجنة خمسة بلغوا شأوا عاليا في التجارة، وكانت تجارة مع الله ورسوله ومع الناس، وكانوا يعملون بأنفسهم في أموالهم، أو بوكلائهم...

وفي الإنفاق تبعات على صاحب المال: فيتعين أن يكون اكتسابه من حلال، وإنفاقه في حلال، وألا يتخذ ذريعة لحرام، أو يكنز ليتكاثر، أو يمن به على أحد عند إنفاقه، أو يكون سبباً للبطالة. وهذه واجبات ستة.

وهو – تعالى – يقول: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم﴾[٩١] ليعلمنا أنه رقيب على كل نشاط، وأنه يجزى على كل عمل.

ورسول الله –ﷺ– يقول: "إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المكفى الفارغ".

وللنقود في الإسلام وظيفتها التى تواضع الناس عليها: أنها أداة تعامل، وليست سلعا تباع، أو يكون لها فائدة فيما عدا استعمالها كأثمان للعمليات الاقتصادية، ولذلك يأمر القرآن الكريم بعدم حجبها عن الأسواق من كنز أو شح، جاء في سورة التوبة: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في

(٩١) سورة آل عمران الآية ١٨٦

سبيل ا لله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾[٩٢].

وقيمة المال في استعماله، وهو يتناقص بعدم الاستعمال أو سوء الاستعمال، ولذلك يأمر رسول الله -ﷺ- بالعمل في مال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة في انتظار أن يبلغ اليتيم رشده.

ودوران النقود في مجال التعامل أداة تفريج عن الناس، وتمكين لهم من حوائجهم.

ومن أجل ذلك كان في كنز المال إفساد للتعامل بحرمان السوق - أو الناس - مما يكنزه الكانزون، إلى جوار حرمان الكانزين أنفسهم من تثمير المال، وليس أبأس من الذين يملكون العون ولا يعينون، والكانزون والمرابون والسارقون في صعيد واحد من العذاب.

المبحث السادس:

مال الدولة

إذا كان المسلم يحاسب على ماله في الدنيا وألاخرة فالدولة مسئولة عن حساب عمالها، وهى بدورها خاضعة للحساب.

كان عمر ينهى عماله عن الاتجار بمال الرعية، ويشاطرهم ما زاد عندهم من المال، وكان لا يدخل الخراج بيت المال إلا إذا شهد جماعة من الصالحين أنه لم يجمع بإعنات أو إرهاق.

وكما كان أعدل الناس في جمع أموال الأمة كان أفطنهم في المحافظة عليها:

---

(٩٢) سورة التوبة الآيتان ٣٤، ٣٥

كتب إليه عمرو بن العاص بعد فتح مصر أن حاكمها المنهزم (المقوقس) يسأله أن يبيعه سفح "جبل المقطم" بسبعين ألف دينار!.

ورد عمر فأرسل إليه يسأله: لماذا يشترى جبلاً ليس فيه بئر ولا ماء؟

فسأل المقوقس. فأجاب: لأننا نجد صفته في كتبنا أن في أرضه غراس الجنة.

ولما بلغ هذا الجواب عمر كتب إلى عمرو: "إنا لا نعرف غراس الجنة إلا للمؤمنين، فاقترفها مَنْ قِبَلَكَ من المسلمين".

وأمير المؤمنين يدرك بأساء المنهزم، وتعلقه بما خلفه، وأحلامه في العودة إليه، لكنه يحسن الجواب لعمرو، ويلقن هذا السياسى الأشهر بين ولاته أن المسلمين أحق بوطنهم من المقوقس أو دولته.

المبحث السابع:

التداين والقرض الحسن

للناس على صاحب المال إذا أقرضهم أن يكون "قرضاً حسناً" أي: غير مشروط بمنفعة للمقرض عند اقتضاء دينه، وإلا كان قرضاً محرماً، لما فيه من "الربا"(٩٣).

وفي مقابل ذلك يلتزم المقترض بالرد في ميعاده، ولتيسير الرد على المقترض كانت نظرة الميسرة، وإذا تخلف عن الرد مع اقتداره على السداد كان ظالما وحق تعزيره، والعجز عن السداد في الميعاد عذر، لكن الامتناع عند القدرة مطال، أو بادرة غدر يحل به عرضه باللوم، وتحق مسئوليته بالإجبار على السداد، ولو احتاجوا لتعزيره عزروه.

---

(٩٣) وهو موضوع الفصل الثانى من الباب الرابع من هذا الكتاب

والقرض الحسن مال طيب، والوفاء به وفاء بعهد، والله – تعالى – يأمر بالوفاء بالعهود، ورسوله –ﷺ– يقول لأمته: "عِدَة المؤمن دين"، وفي غزوة بدر كان –ﷺ– أحوج القواد إلى جندى واحد، لكن حذيفة قال له: إنه وأباه قد قطعا عهداً للمشركين ألا يحاربهم وتركوهما ليهاجرا إلى المدينة، وأضاف هو وأبوه: إن شئت قاتلنا معك.

قال –ﷺ–: بل نفيان، ونستعين الله عليهم.

وأعان الله بانتصار بدر.

ورسول الله يشجع على الوفاء بقوله: "من مشى إلى غَريمه بحقه صلت عليه دواب الأرض وأنبت الله له بكل خطوة شجرة في الجنة".

وقوله: "لَى الواجد ظلم يبيح عرضه ومالـه" وقوله: "مطل الغنى ظلم" ويحذر من المطال فيقول: "إن لصاحب الحق مقالاً".

ويحذر من الاستدانة مع نية عدم السداد، فيقول: "من ادان دينا وهو يحدث نفسه بقضائه أعانه الله، أما من ادان دينا وفي نيته عدم الوفاء فهو سارق".

ولا يبرأ المدين من المسئولية عن الوفاء إذا مات عن غير مال يستد به دائنه فرسول الله يسأل إذا جاءه القوم بميت للصلاة عليه: هل ترك ديناً وليس في تركته ما يسدده؟ فإن قالوا: نعم قال لهم: صلوا على صاحبكم، ورفض أن يصلى عليه.

وروى أبو سعيد الخدرى: كنا مع رسول الله في جنازة، فلما وضعت قال هل على صاحبكم دين؟ قالوا: نعم، درهمان... فقال عِلى: هما علَى يا رسول الله.

قال –ﷺ–: "جزاك الله عن الإسلام خيرا، وفك رهانك كما فككت رهان أخيك".

والله – تعالى – يقول: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾[٩٤] فالنظرة حتى يزول الإعسار لطف من الله بالمعسر حتى يستعيد قدرته على الوفاء، ونبى الله يحث على إنظار المعسرين بقوله: "من أنظر معسرا – بعد حلول الدين – جزاه الله بكل يوم صدقة".

والفقهاء على أن المدين لا يخرج من حالة الإعسار إذا كان يملك دارا، أو ثياباً تجمله، أو يستخدم خادما أو أداة انتقال أو حرفة أو أكثر ما دامت به حاجة إليها.. وهكذا يرتفع الفقه بالحد الأدنى لمعيشة المسلم.

والقرض أداة إسهام في "تدفق المال" في مصلحة المقترضين والمساكين والمحتاجين، كسائر الصدقات، فهذه معونات، منها المرئى، ومنها ما لا يعرفه إلا الله، وهو خير الصدقة.

والرسول الكريم يشجع على سداد الدين بقوله: "أفضل الأعمال أن تدخل في أخيك سروراً، أو تقضى دينه، أو تطعمه خبزاً".

وقد خص الشارع سداد الدين بسهم من أسهم الزكاة، لأثر القرض الحسن في سداد الحاجات للضعفة العاجزين عن السداد، وهو وجه سيولة للنقود تنتعش به الأسواق والمجتمعات، وكلما سدد مدين قرضه أمكن المقرض أن يتصدق من جديد إن لم يكن محتاجاً للمال.

ورد الدين قضاء حق ووفاء بعهد، والأصوليون ينقلون عن "سحنون" واضع مدونة مالك قوله: "رد دانق – سدس درهم – مما حرم الله تعالى أفضل من سبعين ألف حجة تتبعها عمرة مبرورة، وسبعين ألف فرس في سبيل الله، وسبعين ألف بدنة، وسبعين ألف رقبة مؤمنة من ولد إسماعيل".

---

(٩٤) سورة البقرة الآية ٢٨٠

قالوا: لأن رد الدانق رد مظلمة فهو واجب، وما عداه تطوع، والتطوع - وإن كثر - لا يقوم مقام الواجب وإن قل.

ولما فتح الله الفتوح على المسلمين كان -ﷺ- يقول: "أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعلى قضاؤه".

وإنما تساهلوا عند العجز عن السداد تضامنا مع المعوز، وتشددوا مع المماطل ليشجعوا المقرضين على التعاون بالإقراض وبالرد، وكانوا يؤثرون في صدقاتهم الإقراض والرد، ثم إقراض المال نفسه ثم رده.

فهذه دورة للمال مندوب إليها، أو دورات.

والإمام جعفر الصادق يقول: ألف درهم أقرضها مرتين أحب إلى من أن أتصدق بها.

والرسول -ﷺ- يقول: "أعطوا السائل ولو جاء على فرس".

وسأل الإمام جعفر الصادق - شيخ أبى حنيفة ومالك - واحدا من شيعته: ما بال أخيك يشكوك؟ وأجاب الرجل: يشكونى إذ استقصيت عليه حقى عنده.

قال الإمام: كأنك إذا استقصيت حقك عليه لم تسئ إليه؟ أرأيت ما حكى الله عن قوم يخافون سوء الحساب؟ فمن استقصى فقد اساء، وتلا قوله - تعالى - ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾[٩٥].

السؤال: وكان الإمام جعفر يقول: إنما المعروف ابتداء، فأما ما أعطيت بعدما سال السائل فإنما هو مكافأة مكان ما بذل من ماء وجهه.

ولحفظ ماء الوجه سموا السؤال في القرن الثانى للهجرة الزوار.

---

(٩٥) سورة الرعد الآية ٢١

ورسول الله -ﷺ- يستقبح أن يكون السؤال حرفة ويحدد حالاته بقوله لصاحبه: "يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حَمالة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجة من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما وسدادا من عيش. فما سواهن يا قبيصة سحت، يأكل صاحبها سحتا".

المبحث الثامن:

الملك

١- حصل الفقه أصل الملكية في القاعدة ٨٦ من قواعد ابن رجب الحنبلى فيما يلى: إنما مالك الأعيان خالقها - سبحان وتعالى - وإن العباد لا يملكون سوى الانتفاع بها على الوجه المأذون به شرعا، فمن كان مالكا لعموم الانتفاع فهو المالك المطلق، ومن كان مالكا لنوع فيه فهو ملك مقيد، ويختص باسم خاص كالمستأجر والمستعير، وغير ذلك.

٢- والحيازة في المنقول سند ظاهر للملكية حتى يثبت الغصب أو النصب او السرقة.

٣- والملكية مصونة (وللملك حرمة) بمثل ما أن (للنفس حرمة) والإسلام يعاقب على سرقة المال بحد يلى حد الزنا في الشدة، لما في الجريمتين من عدوان على النفس أو العرض أو النسب أو المال، وإذا عفا المجنى عليه في السرقة، أو تصالح قبل التبليغ ففى الصلح خير، والعفو أعلى درجة.. وفي عام المجاعة لم يتحقق معنى السرقة للجياع الذين سرقوا ناقة ليأكلوها.

٤- والشارع - بوجه عام - يحمى الملك بآية السرقة ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾[٩٦] ولما سرقت فتاة من قريش وسط القوم إلى رسول الله أسامة بن زيد، فقال له -ﷺ-: "أتشفع في حد من حدود الله؟" ثم قام خطيباً فقال: "يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها".

وفي أحكام القرآن للجصاص عن عبد الله بن مسعود قال: "لا تقطع اليد إلا في دينار أو عشرة دراهم".

٥- ومعنى السرقة: أخذ المال على وجه الخفية والاستتار، ومسارقة النظر إذا كان يستخفى بذلك، فإن اختطف أو اختلس لم يكن سارقاً، وهناك قول فقهى بقطع يد المختلس، والفقهاء على غير ذلك، لروايات عن رسول الله -ﷺ-: منها "وليس على الخائن ولا على المختلس قطع" وعن جابر أنه قال "ليس على المنتهب قطع".

فالسرقة إذن: أخذ في خفاء. وإذا لم تنطبق شروط الحد وقعت عقوبة التعزير.

والإمام أحمد بن حنبل يروى عن أم المؤمنين عائشة قولها: "إن المخزومية التى قطع رسول الله يدها كانت تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبى بقطع يدها.

ويقول الإمام أحمد عن هذا القول "لا أعرف شيئا يدفعه".

---

(٩٦) سورة المائدة الآية ٣٨

والفارق بين السرقة وبين جحود الودائع والديون والعوارى كبير، فالسرقة أخذ للشيء، وما عداها منع للحقوق، وأكثر أهل العلم يشترطون أن يكون المسروق في حرز، ويخرجه السارق منه... أما الظاهرية فيقررون أن السرقة بحسب النص هى كل أخذ للشيء على سبيل الاستخفاء.

فمعنى هتك الحرز واضح في الفقه، وهو موضع الأمانة التى ينتهك السارق حرمتها، فإذا لم يتحقق هذا الانتهاك تحققا كاملا فلا تقطع اليد، ويجوز عندئذ التعزير.

ولا قطع لمن سرق من بيت المال، لأن للمسلم فيه حقا، فيكون شبهة في توقيع الحد، ورسول الله -ﷺ- يقول "تدرأ الحدود بالشبهات"(٩٧).

٦- والشارع يحمى الملكية الأدبية، وقد خلف لنا التاريخ في ذلك قضية التلاميذ في جامع عمرو بمصر: كان عبد الرحمن بن القاسم - من كبار تلاميذ مالك - يعلم الفقه المالكى، وجاءه أسد بن الفرات بأسئلة تعلمها على محمد بن الحسن صاحب أبن حنيفة في بغداد، التمس فيها إجابات من ابن القاسم، ونقل الإجابات تلاميذ ابى القاسم بغير موافقة أسد فشكاهم إلى القاضى، فحكم له ضدهم، وسألهم: لماذا لم تكتبوا مثله.

لكنه في خارج الجلسة علم أسدا ألا يضن بالعلم عليهم، فأذن لهم.

وعاد أسد "بالأسدية" إلى تونس يعلم فقه مالك، ويعلم فقه الدولة الرسمى بمذهب أبى حنيفة، ونقلها تلميذه "سحنون" وخف بها إلى مصر يعرضها على ابن القاسم، فأجرى فيها تصحيحات أو تعديلات، وأضاف إليها سحنون إضافات وسماها "المدونة" فصارت السجل الكامل لفقه مالك للآن، وانتقلت إلى

(٩٧) ومن المعاصرين من أحصى توقيع الحد في الزنا والسرقة وقرر أن الحد لم يطبق فيهما إلا بضع مرات على مدى قرون "العدد الأول لمجلة اتحاد الجامعات الإسلامية"، بحث الدكتور عبد المجيد محمود مطلوب

المغرب والآندلس وجعلها القضاء شعارا للحضارة الفقهية، فكان الأندلسيون لا يأذنون لعالم أن يعلم سواها. وأسد هو قائد الأسطول الذى فتح صقلية للإسلام وفيها قبره.

٧- ويجوز أن يقطع الإمام الأرض لمن يعمل فيها إذا كان لها ساكن وانقرض، فصار أمرها إلى الإمام، أو كانت من الأرض الموات التى لم يحيها أحد بوضع اليد أو بالشراء أو بالميراث، مسلما كان أو معاهدا. ويشترط بعض المذاهب إذن الإمام، وبعضها لا يشترط، وقد وهب رسول الله -ﷺ- أمية بن خلف واديا بتمامه ليس له مالك... وجاءه الداريون بعد انصرافه من "تبوك" قال زعيمهم لنا جيرة من الروم لهم قريتان، هما جيرون، وبيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لى، قال -ﷺ-: (هما لك) وأقام الوفد بالمدينة حتى توفى رسول الله -ﷺ- فكتب لهم أبو بكر كتابا بذلك.

٨- ولما جاء فاتحو العراق إلى أمير المؤمنين عمر مطالبين بملكية الأرض المفتوحة باعتبارها من غنائمهم استشار المهاجرين الأولين، فاختلفوا، ورأى عمر بقاء الأرض لأصحابها، وفرض الخراج أو الجزية عليهم، فأرسل إلى عشرة من الأنصار: خمسة من الأوس، وخمسة من الخزرج، من أشرافهم وكبرائهم واجتمع المهاجرون والأنصار للأمر العظيم في تاريخ الإسلام، قال لهم: إنى واحد كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون بالحق، خالفنى من خالفنى، ووافقنى من وافقنى، معكم اليوم كتاب ينطق بالحق "يقصد القرآن" فوالله ما أريد إلا الحق.

وبقيت المسألة ثلاثة أيام حتى فتح الله عليه بالقرآن - كما رواه الزهرى - بالاستناد إلى الآيات من ٦ - ١٠ من سورة الحشر، مع الآية الأولى من سورة الإنفال.

ثم قال: أرايتم هذه الثغور؟! لابد لها من رجال يلزمونها؟ أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لابد لها من الشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم؟ فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ويجر عليهم ما يتقوون به؟

٩- وفيما عدا الأرض فالإمام مخير في الغنائم، يقسمها أو يتركها للفاتحين، إن قسمها فبقول الله تعالى في سورة الأنفال، وإن تركها فبعمل رسول الله في فتح مكة، وإن قسم على قوم معينين فبعمله في أرض خيبر.

١٠- ومن حرمة الملكية جاز القتل دفاعا عنها، وقال الرسول الكريم: "من قُتل دون ماله فهو شهيدا".

المبحث التاسع:

حسن استعمال المال والرحمة بالحيوان

والحقوق في الإسلام تنشأ مقيدة بتقوى الله فيها، ومن أظهر هذه القيود حسن الاستعمال، ومنها كانت الرحمة بالحيوان واجبا على الإنسان.

والرحمة حق الله على خلقه، يقول - جل ثناؤه -: ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾[٩٨] ويقول: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾[٩٩].

ويقول: ﴿ورحمتى وسعت كل شيء﴾[١٠٠] وهو تعالى قد كتب على نفسه الرحمة.

وكان -ﷺ- يقول: "من لا يَرحم لا يُرحم".

---

(٩٨) سورة الشورى الآية ١٧

(٩٩) سورة الأنبياء الآية ٤٧

(١٠٠) سورة الأعراف الآية ١٥٦

سمع أعرابياً يقول: اللهم ارحمنى ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فقال له: "لقد حجرت واسعا يا أعرابى" .. وأي حجر!!.

ويقول -ﷺ- لصحبه: "بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش، وجد بئراً فنزل فيها وشرب منها، ثم خرج فإذا كلب يلهث، فنزل البئر وملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب فغفر الله له".

ولقد سألوه يوماً: يا رسول الله، إن لنا في البهائم لأجرا؟ وأجاب: "في كل ذات كبد حدى أجر".

وهو القائل: "دخلت النارَ أمراةٌ في هرة حبستها ولم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض" وشهده المسلمون يصغى الإناء للهرة لتروى حتى تشبع.

ولقد شهده المسلمون على رأس عشرة آلاف مقاتل لفتح مكة، لهم ضجة ورجة، رأى كلبه تسهر على أولادها فألزمها جعيل بن سراقة حتى يمر الجيش دون أن تصاب بأذى، أو يصاب صغارها.

وسمعوه إذ مر ببعير لصق بطنه بظهره من الجوع، فقال "اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة".

وكان ينهى عن ضرب الحيوان في وجهه، أو وسمه في وجهه، ويقول "إن الله يحب الإحسان في كل شيء، فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته".

ورأى رجلاً أضجع شاة يحد شفرته فقال له: "أتريد أن تميتها موتاتٍ؟! هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها؟!".

وجاءه أعرابى بفراخ طائر وضعهن في كسائه، وجاءت أمهن فطارت فوق رأسه، وأمره النبى -ﷺ- بوضعهن فوضعهن، وجاءت الأم فأبت فراقهن، قال -ﷺ-: "أذهب فضعهن حيث أخذتهن والذى بعثنى بالحق للهُ

أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها، ارجع بهن فضعهن من حيث أخذتهن، وأمهن معهن".

١- وتأسى المسلمون بهذه الأُسى العظيمة لنجد الإمام أحمد بن حنبل - بعد نيف وقرنين - مدعوا لدى الخليفة المتوكل، فاصطحب تلميذاً له وضع معه طعامه الخاص، وفيما هو في الطريق جلس الإمام وتلميذه يطعمان (كوز ماء ورغيفاً) وأغرت سماحة وجهه كلباً شهدهما، فوقف أمامهما وحرك ذنبه كالمستأذن، فراح أحمد يقاسمه غذاءه: لقمة لقاء لقمة، وخاف التلميذ أن يضر الكلب بقوت الإمام، فنحى الكلب من بين يديه، واحمار وجه إمام المسلمين، ولم يعز تلميذه في الخطاب، واكتفى بأن قال له يعلمه: "لها أنفس سوء".

٢- حتى دودة القز يرحمها أحمد في معرض استعمال الحقوق، سألوه عن تشميس دودة القز لتموت في نسيجها قبل أن تقرضه؟ فأجاب إذا لم يجدوا منه بُدا، ولم يريدوا تعذيبه بالشمس، فليس به بأس. فهو لا يبيح تعريض الدودة للشمس إلا لضرورات الصناعة، وهو المبدأ في التعامل مع الحيوان: يستخدم لمصلحة، وبإحسان.

٣- والأصل في هذا قوله -ﷺ- "من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله - عز وجل - يوم القيامة يقول: يارب قتلنى عبثاً ولم يقتلنى لمنفعة".

ومن حسن استعمال الحق نرى الإنسان مكلفا بأن ينتفع به الانتفاع الذى أعد له، وهو بوجه عام ممنوع من إتلافه كمنعه من إتلاف ملك غيره، أو ما ليس مملوكاً لأحد، فالله قد خلق الأشياء لحكمة، وهو يقبل التغيير للمنفعة، وهو - تبارك وتعالى - يقول: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[١٠١] ويقول: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء

(١٠١) سورة العنكبوت الآية ٣٦

الدار﴾[١٠٢].

والخلافة في الأرض تمنع من الفساد، والسوى لا يتلف الأشياء لشهوة، وإنما يغيرها أو يطورها لمصلحة له أو للناس.

وإذا كان الإسراف في الماء – ولو على نهر جار – وجه إتلاف، فكذلك كل إتلاف أو إسراف.

(١٠٢) سورة الرعد الآية ٢٥

الفرع الثانى
منظومة التعاون

المبحث الأول

تعاون المجتمع

يقول بعض المعاصرين إن الاقتصاد الإسلامي قائم على التعاون، فالعمل بين أن يكون عملا بنفس العامل أو عملا من صاحب المال به أو بشركة مع غيره كالمقارضة بين صاحب المال للعامل به، أو الشركة التى يضع الشركاء شروطها.

والمسلمون عند شروطهم.

والتعاون في هذا الفرع ليس مقصوداً به أن الإنسان مدنى بالطبع وإنما المقصود به معنى اقتصادى فيه حقوق وواجبات وأسس لبناء الأمة والدولة.

والتعاون ظاهر في وجوه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو تعالى يأمر به المسلمين أمرا حاسما، بقوله - تعالى - ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[١٠٣]، وقوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[١٠٤] وقوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾[١٠٥] وقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[١٠٦] وقوله: ﴿إن هذه

---

(١٠٣) سورة المائدة الآية ٢

(١٠٤) سورة آل عمران الآية ١٠٣

(١٠٥) سورة التوبه الآية ٧١

(١٠٦) سورة آل عمران الآية ١١٠

أمتكم أمةً واحدةً﴾(١٠٧).

والأمة الإسلامية أمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

١- الواجبات الكفائية تجعل المسلمين متعاونين في فروض من ألزم الفروض وأعظمها خطرا كالجهاد والتعليم. والواجب العينى نفسه يجعلهم متعاونين، وكصلاة الجمعة كل أسبوع، وصلاة الجماعة في كل الفروض، وهى تعدل صلاة الفرد سبعا وعشرين مرة.

وفي كل عمل جماعى وجه تعاون.

٢- في فرض الزكاة معونة من القادر لغير القادر، تحددت السهام، وتعددت المصارف ليصيب منها أكثر المحتاجين في الأمة، ثم أطلق الشارع الصدقات وكثرها وحسنها وأثاب عليها، ليقبل عليها المسلم كإقباله على صلاة الجماعة.

٣- التعاون على تحرير الرقاب مفروض على مالك الرقبة، وقد جعله الله مصرفاً من مصارف الزكاة، وأمر بمكاتبة الرقيق إذا طلب، كما جعل التحرير كفارة. وتكاثرت سنن الرسول في هذا الشأن، وهو -ﷺ- يجعل جزاء ظلم العبد عتقه، ويلزم كل صاحب رقيق أن يطعمه مما يطعم، ويلبسه مما يلبس، كعضو في العائلة له حقوق مقررة.

قال - تبارك وتعالى - ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾(١٠٨).

وفي هذا الباب الواسع وضع عمر قاعدة للتفريج على المكاتبين بالإذن بإيداع المقابل في بيت المال إن رفض السيد تسلمه تعطيلا للتحرير.

---

(١٠٧) سورة الأنبياء الآية ٩٢

(١٠٨) سورة النور الآية ٣٣

كان الصحابة زعماء في التحرير، وقد خلد التاريخ صنيع أبى بكر بمقولة تجرى على الألسن: "أبو بكر سيدنا، وقد حرر سيدنا" يقصدون مؤذن الرسول بلال بن رباح.

٤- وفريضة الشورى تعاون وفي البيعة للإمام وطاعته وجوه تعاون.

٥- وفريضة الصوم توجيه للتعاون مع الجياع والظماء.

٦- وفريضة الحج أداة تعاون من كل فج عميق.

٧- ونفذ الرسول الكريم وصحبه التعاون في الضرورات وفي الحاجات والمباحات إليك بعض الأمثال:

أ - يقول - عليه الصلاة والسلام -: "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو حملوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد، فهم منى وأنا منهم" وقد أمر بمثل ذلك في بعض الغزوات.

ب - ويروى عنه أبو سعيد الخدرى: "من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له..." قالوا: فمازال يعدد المال حتى ظننا أن ليس لأحد منا حق في فضل.

ج - والحديث الثالث نختاره من عمله -ﷺ- في غزوة خيبر: كان البرد زمهريرا، وأمرهم رسول الله -ﷺ- بقوله: "من له لحاف فليلحف من لا لحاف له". ولم يكن لتابعه أبى رافع لحاف، فألحفه - عليه الصلاة والسلام- معه بلحافه الكريم.

٨- كان أبو بكر أنموذج تعاون المسلم مع جيرانه كما أسلفنا، ولما حارب حروب الردة من أجل الزكاة كان يدافع عن التعاون.

٩- وعلى هذا النهج سار عمر:

أ - رأى رجلا يشترى لحما يومين متتابعين، فقال له: (هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك؟!).

ب – ورأى رجلا من أهل الذمة جائعاً – وكان طاعناً في السن – فأخذ بيده إلى صاحب بيت المال وقرأ عليه ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين..﴾ وهذا من مساكين أهل الكتاب، فأعطاه حقه منه، ورفع الجزية عنه.

ج – وفي طريقه إلى دمشق مر بمرضى من النصارى "فأجرى" عليهم القوت، فصار راتبا لهم، وأمر بأن يُعَاوَنُوا من صدقات المسلمين.

١٠– وكان الصحابة يعيشون متعاونين – مهاجرين وأنصاراً – في العمل والملك والتناصح، لا يفترقون إلا أن يتلوا معاً سورة العصر: ﴿والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ والتواصي تعاون.

١١– والتناصح تعاون قال رسول الله –ﷺ–: "الدين النصيحة. قالوا: لمن يارسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم".

والله – تعالى – هو القائل: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾، والولاية قرابة أو مناصرة.

١٢– والله – جل شأنه – جعل عدم الحض على طعام المسكين تكذيبا بالدين، فقال في سورة الماعون ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين، فذلك الذى يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين﴾[١٠٩] بل جعل عدم التحاض جريرة عامة في الأمة، حيث قال: ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم، ولا تحاضون على طعام المسكين﴾[١١٠].

يقول الإمام محمد عبده: "وإنما ذكر التحاض على الطعام، ولم يكتف

---

(١٠٩) سورة الماعون الآيات ١ – ٣

(١١٠) سورة الفجر الآيتان ١٧ – ١٨

بالإطعام .. ليصرح لك بالبيان الجلى أن "أفراد الأمة متكافلون" والتكافل آية تعاون.

ولقد ذم الله – تعالى – أمة بأنهم ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾[١١١] ولما استثنى الله من الخسران استثنى ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[١١٢].

والتواصى بالحق وجه تكافل، وتداول للأشياء وتفاعل.

١٣- والمعروف – عند المفسرين –: أمر جامع لكل ما عرف من طاعة الله من وجوب أو ندب، والمنكر كل ما طلب الشارع تغييره على سبيل التحريم أو الكراهة، ومن المعاصى صغائر يجعلها التكرار كبائر بالتكاثر إذ تصبح سوء سلوك، في حين يتواءم المجتمع بالنزاهة ويتلاحم ويتصاون للحفاظ على القيم الصحيحة ولو كان في ذلك وجه مشقة.

١٤- وفي الأسرة يقول صاحب الشريعة: "أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح" ويقول "الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم ثنتان".

١٥- ونظام الميراث يجمع على تركة واحدة فروع شجرة الميراث والنسب والقرابة بنظام بالغ الإحكام في التعاون.

١٦- ومثله نظام النفقات فكل من ينطبق عليه وصف الوارث يحق له – أو عليه – أن ينفق – أو ينفق عليه – من شجرة الأسرة.

وفي تضامنها يقول الشيخ أحمد إبراهيم في كتابه (نظام النفقات) "القاعدة الكلية لذلك أن غنى الأسرة ينفق على فقيرها، سواء أكان الغنى صغيراً أم كبيراً، عاقلاً أم مجنوناً، والفقير كذلك، واعتبر الشارع نفقة الغنى

---

(١١١) سورة المائدة الآية ٧٩

(١١٢) سورة العصر الآية ٣

على أقاربه الفقراء بما يدفع حاجة الفقير بمنزلة نفقته على نفسه، وهذا صنيع حسن جداً يقضى به "تضامن" الأسرة كلها".

وفي التزامات الزوج بأصناف النفقات تمكين للأسرة، وتوزيع بديع للتبعات يقتضيه حسن التبعل، ومن هذا الباب الواسع تؤخذ نفقة الحامل المتوفى زوجها من نصيب حملها المحجوز له حتى يولد.

١٧- حقوق الجار ميدان فسيح للتعاون: يقول الله تعالى ﴿وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب﴾[١١٣] فالجيران طوائف لا طائفة واحدة.

أ - وقد شرح رسول الله -ﷺ- وصاة الله تعالى بالجار أبلغ الشروح حيث قال: "مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" وإنما أراد معنى عاماً: هو أن يجعله كواحد من الأسرة، أو أن يجعل له حقا في مالها، ولقد أدخله -ﷺ- في صميم الإيمان بقوله: "ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم".

- بل يحلف بالله مثنى وثلاث على حقوق الجار "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن"، قالوا: من يارسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه".

فهذان حقان في الطعام والأمان التام والله تعالى يصف نفسه بأنه ﴿الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[١١٤].

- وحق ثالث: هو حقه في العفو عنه، فمن مكارمه -ﷺ- سؤاله عن الجار اليهودى الذى تعود أن يضع الشوك في طريقه، وهداه الصفح فدخل في الإسلام.

---

(١١٣) سورة النساء الآية ٣٦

(١١٤) سورة قريش الآية ٤

– ويشرح القسطلانى وصية جبريل بالجار فيقول: "يوصينى بالجار مسلما كان أو كافراً عابداً أو فاسقاً، صديقاً أو عدواً، غريباً أو بلدياً، ضاراً أو نافعاً، قريباً أو أجنبياً قريب الدار أو بعيدها".

وفي شرح حديث آخر يقول القسطلانى: "الجار ذو الرحم له ثلاثة حقوق، والجار القريب المسلم له حقان، والجار فقط له حق واحد، وهى كأخوة الإسلام التى جاء بها جبريل".

وفي هذا الإطار ندرك تعبد عبد الله بن عمر – وكان أكثرالناس تتبعا لآثار رسول الله – حيث كان عبد الله يقول لخادمه: "إذا ذبحت فابدأ بجارنا اليهودى" ونرى هنا إيثاراً لليهودى أو الذمى إذا كان بين الجيران، وما هو إلا اتباع لرسول الله –ﷺ– إذ نهى عمر عن تهديد يهودى خاشن الرسول بالمطالبة بدين لم يحل أجله، فقال –ﷺ–: ""أنا وصاحبى" أحق بغير هذا منك، تأمرنى بالأداء، وتأمره بحسن الاقتضاء" ولما حل الأجل وفي الدينَ وزاد الدائن، فأسلم الرجل.

ب – وهو – عليه الصلاة والسلام – يزيد عدد الجيران على عاتق المسلم ليزيد مجتمعه قوة وسعة فيقول "إن أربعين دارا جار".

والدار – كما يعرفها الدامغانى في الأشباه والنظائر في القرآن – "قد تكون البيت، وقد تكون المدينة".

فللأسرة مسكن أو بيت، وقد يكون في الدار بيوت، وقد يكون في البيت الواحد غرف، أو مساكن في كل منها أسرة، وقد يكون في الدار الواحدة بيوت كثيرة أو حوانيت.

والأوزاعى إمام الشام في القرن الثانى الهجرى يروى بدلا عن الأربعين: مائة، ويضيف أنها مائة من كل ناحية أي: تصبح أربعمائة...وأى هذا كان فأربعون داراً أو مائة يمكن أن تكون بلدة أو مدينة.

١٨- المواطنة: الإسلام يجعل "المواطنة" لحمة، والمسلمون يقولون: حب الوطن من الإيمان، والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، ولغير المسلم وعليه ما للمسلمين وعليهم في هذا الباب.

ويقول رسول الرحمة "..ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره..".

١- والمواطنة جيرة في كثير من الأمور وأكثر المواطنين بين مسلمين وأهل ذمة، وأكثر من عداهم "مستأمنون" لهم أوضاع الضيوف الجديرين بالعناية الخاصة، وللضيف أن نعتبره واحداً من أهل الدار، ما أقام فيها وعندئذ ينعم الأجنبى بالمساواة في الحقوق إلا ما يحرمه منه النظام الإدارى أو السياسى.

٢- ومن الفقه ما يصل أهل الذمة بأموال "الزكاة". وتكاثر استخدام الأجانب والتعويل عليهم يؤدى الى أحسن النتائج بالنسبة إليهم، وإن لم تكن دولهم تعامل المسلمين بالمثل.

ولقد طالما أكرمت الدول الإسلامية منذ العصر الأول مثواهم بالمدينة المنورة وفي بغداد ودمشق والقاهرة، وما تزال الدول الإسلامية على العهد من حسن التعاون مع العالم.

وعندما يسجل التاريخ لثغرتنيس بمصر أن ألف سفينة تجوب البحار بينها وبين شواطئ البحر المتوسط بتجارات هذا البحر، فهو يعلن السماحة والأمان والسلام بألف دليل، في عصر لاحق لغزو الصليبيين لمصر والشام.. كما يسجل سماحة مصر للذين حاربوها حروبا أربعة في ربع قرن في القرن العشرين للميلاد متعبدة بقول صاحب الشريعة: "أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك".

١٩- والتكافل لحمة: في القرن الحادى عشر الميلادى "الخامس الهجرى" أعلن ابن حزم من تطبيقات حديث رسول الله - عليه الصلاة والسلام - "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه" فقال: "إن فرضا على الأغنياء من "كل بلدة" أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك" وقال "يقام لهم ما يأكلون من القوت الذى لا بد منه، ومن اللباس في الصيف والشتاء، وبمثل ذلك من مسكن يكنهم من المطر وحر الصيف، ومن عيون المارة، فإن من ترك أخاه يجوع ويعرى فقد أسلمه"، ثم يستشهد بكلام أمير المؤمنين على: "أن الله فرض على الأغنياء في أموالهم ما يكفى فقراءهم، فإن جاعوا وعروا فبظلم الأغنياء".

٢٠- ومن التكافل عند المسلمين كانت الصدقة الخفية في البيع والشراء، والمساهلة في المعاملة، والسخاء في العطاء يقول - عليه الصلاة والسلام -: "من قلل قلل له، ومن كثر كثر له".

وكان الإمام أحمد بن حنبل يأتدم بالخل، ويعيش على درهم في اليوم، لكنه إذا أولم لضيف أولم بشاة مصلية تحف بها ألوان الطعام، وحضر مرة وليمة للعلماء ظهر البذخ فيها فقال: "لو أن الدنيا جمعت حتى تكون في مقدار لقمة ثم أخذها مسلم ووضعها في فم أخيه المسلم لما كان إسرافا".

٢١- والكلمة الطيبة صدقة ولو قيلت لغنى موسر.

٢٢- ومن ترك مسلما في حرج دون أن يمد له يدا فهو مسؤل عن تركه كمسئوليته عن دفع الضر عنه، والدعاء للمسلم صدقة والرحمة بالغير صدقة. والضيافة منها ما يكون صدقة. وقبول الدعوة معروف وتأليف للقلوب.

- روى عبد الله بن بشر: كنا قاعدين على باب دارنا إذا أقبل رسول الله -ﷺ- على بغلة، قال أبى: ألا تنزل يا رسول الله فتطعم وتدعو لنا

بالبركة؟ فنزل وطعم وقال: "اللهم ارحمهم واغفر لهم وبارك لهم في رزقهم" فما زلنا نعرف من الله – تعالى – السعة في الرزق.

– ودعا – عليه الصلاة والسلام – للمدينة قبل ذلك: "اللهم بارك لنا في مدنا وصاعنا، واجعل لنا مع البركة بركتين" وما تزال بركة المدينة تفيض على أهل الإسلام: راحةً من عَناء، وطيبَ هواء، والمسلم يجد فيها أحسن موطن له.

٢٣– ونظام الديات لحمة حتى "لا يطل دم في الإسلام" كما قال – عليه الصلاة والسلام – فعاقله الجانى أهله أو قبيلته تسدد الدين ليتحمل عدد أكبر من قومه مسئولية تضمين الضرر، ثم إن مقدار الدية واحد في شأن الأمير – ولو كان خليفة المسلمين – وفي شأن رجل من السوقة، كلهم عند الله سواء.

٢٤– ونظام القسامة لحمة تحفظ أمن الجماعة، وتضمن ما أحدثه المجهول من ضرر إذ يحلف خمسون من أهل المحلة التى وقع فيها القتل، يختارهم ولى الدم وهو لا يختار إلا الكبراء والأثرياء، أنهم ما قتلوا، ولا علموا بالقاتل، وبعد ذلك تحق عليهم دية القتيل، ومن نكل منهم يحبس حتى يحلف وإن لم يتم العدد تكرر الحلف حتى تتم أيمان خمسون.

وإن كان القتل خطا من معلوم دفعت عاقلته الدية.

٢٥– ومن أوليات النظام الفقهى أن يتحمل من أحدث ضرراً بإنسان مسؤلية تضمينه دون أن يلتزم بإثبات خطأ من الجانى.

وبهذه البديهية الإسلامية يتجلى النظام الشرعى الإسلامي بوجهه الإنسانى الذى تحاول أمم الغرب أن تبلغ بعضه، وما هى ببالغة.

٢٦– وأي إنسانية كإنسانية خليفة المسلمين على رأس القرن الأول: عمر بن عبد العزيز (٩٨ – ١٠١هـ) كتب إليه عامله في أحد الأصقاع أنه لم

يجد فقراء يقسم عليهم حقوقهم، فكتب إليه: أنفقها في عتق الرقيق. فأعتق. واستمر الوالى ينفق وتبقى بقية ويسأل حتى أجابه أمير المؤمنين: "أنفقها في جزية من لم يستطع دفع الجزية من أهل الذمة" فهو هنا يؤثر بالصدقة أهل الذمة على بيت مال المسلمين.

٢٧- وإلى جوار الإنسانية من الدولة ومن الأفراد واجب الضيافة الذى يجعل الغريب كالقريب، يقول رسول الله -ﷺ- "من كان يؤمن بالله واليوم الآخرة فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة" والضيافة ثلاثة أيام فيما بعد ذلك بل يقول ابن حزم (٤٥٦) عن ذلك: "فرض على البدوى والحضرى، والفقيه والجاهل: يوم مبرة وإتحاف، ثم ثلاثة أيام ضيافة، فإن منع "هذا الحق" أخذها المرء ممن منعها بالقوة، وكيف أمكنه، أو يقضى له بها القاضى".

٢٨- ويرتفع مستوى الصدقات إلى مستوى الكفارات، وهى أحكام يقضى بها القضاء، وكلها للضعفة أو العجزة من الناس، وفي الطعام واللباس والإعتاق، وكثرتها توجب تكاثر الإنفاق. ومنه ما هو إطعام ستين كحالة الإفطار العمد، وحالة الظهار "القسم على الزوجة بتشبيهها بالأم أو الأخت" ومنه ما هو إطعام عشرة أو كسوتهم وهو كفارة اليمين، ومنه ما هو مرسل لمن شاء وكما شاء المكفر، وكلها تذكر بحق الفقير، والإطعام والكسوة والإكرام قاسم مشترك فيها.

٢٩- ولو استقصى الباحث معانى التعاون لما وقف عند حد في السرد أو في العدد. وحسبنا هنا أن نورد سؤالاً وجوابه لأحمد بن حنبل، إذ سائل: الرجل يكون له عقار يستغله، أو ضيعة تساوى عشرة آلاف درهم أو أقل من ذلك أو أكثر، ولكنها لا تقيمه؟.

وأجاب يأخذ من الزكاة، وقرأ حديثه -ﷺ-: "ليس المسكين الذى ترده الأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذى له غنى، ويستحى أن يسأل الناس

إلحافاً"[١١٥].

وفي موطا مالك: "ليس المسكين الذى يطوف على الناس فترده اللقمة أو اللقمتان.. ولكن المسكين الذى لا يجد له غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس".

وبهذا تتضح مكانة الإنفاق التطوعى في الاقتصاد الإسلامي، وعليه شواهد تملأ أنهار الصحف اليومية الآن.

٣٠- أما سؤال الناس فحكمه وارد في السنة الشريفة، وهى توجب العمل لابتغاء رزق الله، ولما علم رسول الله صاحباً له أن يجمع الحطب ليعيش بدلا من أن يسأل الناس أنهى تعليمه بقوله: له "هذا خير من أن تجئ المسألة نكته في وجهك يوم القيامة".

وهو - عليه الصلاة والسلام - يقول "السؤال آخر كسب العبد".

وفيما عددناه من أنواع الاستقراء ما يهدى إلى اتساع التعاون لغير ما ذكرنا.

---

(١١٥) الآية ٢٧٣ من سورة البقرة: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾.

الفرع الثالث

الصدقات تعاون مستمر ومال سائل

المبحث الأول:

الصدقات تعاون مستمر ومال سائل

يقول – عليه الصلاة والسلام –: " كل معروف صدقة " والمسلمون مأمورون بأن يتداعى المسلم إلى المسلم كما يتداعى أعضاء الجسد بالسهر والحمى، وهذا تكافل يهدف إلى التكامل.

ومن ذلك أن يلقى المسلم السلام ولو على قوم لئام، والبدار به خير، وأن يلقى المرء غيره بوجه طلق، وأن الصدقة الخفية أحب إلى الله من الصدقة المعلنة، ولا يدرك كثيرون" القيمة الاقتصادية " لهذا المقدار من وثاقة العلاقة بين أفراد المجتمع، فى حين يدخل الجار فى أمم الغرب داره غير عابىء بما أصاب جاره.. فى هذه الدار.

والصدقات فى المجتمع الإسلامى رافد اقتصادى يصب فى بحر العلاقات الذى يتدفق فى المجتمعات الإسلامية، سواء بالعمل المالى أو العمل الإنسانى الذى لا يحسب أو يعد كالنقد، وإنما يوزن بمقداره من التعاون والتواصل بالجاه أو بالمال أو بالعلم أو بمودة القلوب، وبسمة الوجوه، ومظاهر الرضا والشكر..

وعندما يصبح إسداء المعروف عادة يتأكد بها ركن من أركان العبادة. هو ذكر الله على أوسع نطاق. وهو- جل شأنه -القائل: ﴿فاذكروني أذكركم﴾[١١٦].

يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾[١١٧] ويقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[١١٨] ويقول: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾[١١٩] ويقول: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾[١٢٠] ويقول: ﴿إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء﴾[١٢١].

ومن العفو والفضل ينبع المعروف ويجرى بين الناس، ويعود الإنفاق على المنفق بنصيبه من فضل الله على عباده فى دنياهم وآخرتهم، ذلك بعض المعنى فى قوله- تعالى-: ﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾[١٢٢] وهو تبارك وتعالى يقول: ﴿ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾[١٢٣].

---

(١١٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٢

(١١٧) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(١١٨) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩

(١١٩) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(١٢٠) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧

(١٢١) سورؤة آل عمران، الآية: ٧٣.

(١٢٢) سورة البقرة، الآية : ٢٧٢.

(١٢٣) سورة فاطر، الآية : ٣٢

وفى سورة النور قوله: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾(١٢٤).

والرسول الكريم يقول :"إن الله ليدفع بالصدقة ستين سيئة" وهذا رقم يدل على العدد قدر ما يدل على الكثرة.

والصدقات باب واحد من وجوه البر، ولما أجمل القرآن العبارة للتنبيه عليه كان يطلق للإنسان العنان فى وجوهه، ولما فصل كان يأتى بالأمثال على سبيل لفت الأنظار للأولى بالإنفاق.

يقول- تبارك وتعالى -: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى الباساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾(١٢٥).

فكل إجراء فيه نصفة أو مرحمة أو معونة أو تفريج كربة من الكرب أو تحية أو وجه مسرة أو إحسان فى الطريقة أو إتقان فى الأداء وجه من وجوه البر، فالمسلم مطالب بالبر بنفسه إذ ينجيها من العثرات، وبغيره من الناس، والمخلوقات، حيوانات كانت أو جمادات...

والعطاء والجود والبر من صفات الخالق سبحانه...

وفى إنفاق الفضل إغراء للمنفق وللناس بتبادل المعروف، تدعوهم إليه أنبل ما وهب الله خلقه من الملكات.

---

(١٢٤) سورة النور، الآية : ٢٢

(١٢٥) سورة البقرة، الآية : ١٧٧

ولدى كل مكفى فضل يزيد عن حاجته تستحب النفس السوية أن ينال الناس منه، فهم كصاحب الفضل خلفاء لله تعالى فى أرضه.

وليس الفضل فى "المال" وحده، بل منه"الجاه" و"الحكمه" و"المعرفه" و"المحبة" للناس"والرحمة" بهم حتى كانت الكلمة الطيبة صدقة، والعمل بها أعظم منها.

ومن فضائل الإنفاق تعدد وجوهه قدر ما تتعدد وجوه الاشتراك مع الغير فيما يعالجه، وشموله للخير مع اختلاف المصادر أو المقادير أو الغايات أو الاوقات، كأنها روافد صغيرة أو كبيرة تصب فى المجرى العميق من حاجات الضعفاء، ولكل قطرة فيها أثر، والثواب عليها مؤكد...

فهذان تياران يتواصلان بالخير فى الأمه من حسن العطاء وحسن التلقى.

ولقد يكون إنفاق الفضل أعظم روافد الميزانية العامة للأمة لو أمكن حصره، وهو ليس مقصورا على عزها ومنعتها بل هو مستمر حيثما كان "خلق المسلم".

انه – تعالى – يعالج الأنفس بالعفو منها، أو بالعفو عنها أو بالإنفاق منها أو عليها، فى غير موضع من كتابه العزيز، وهو القائل: ﴿وانفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون. إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم﴾[١٢٦] والقائل ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً

(١٢٦) سورة التغابن، الآيتان : ١٦، ١٧ وفي سورة البقرة : الآية ٢٤٥ ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾.

فيضاعفه له وله أجر كريم﴾[١٢٧] ومع أن المسلم منهى عن الإسراف بوجه عام، فرسول الله يخص الخير بقوله: "ليس فى الخير إسراف".

والصحة تعدى كما يعدى المرض، وللقدوة أثرها فى تربية الأمة.

× × × × × ×

ومن الفقه ما يمنع بيع الدار لسداد الدين، ويإذن لصاحبها أن يسدد من مال الزكاه أو من الصدقة، ومنه ما هو أوسع فيعطى الفقير المطعم والملبس" وسائر "ما لابد منه"، ليعود إلى حاله" مالكاً كان أو غير مالك.

والإمام الشافعى يرى جواز إعطاء نفقة العمر.

وتكرار الصدقة لواحد بعينه واجب مادام يستحق، فقد أعطى أمير المؤمنين عمر وقال: كرروا عليهم الصدقة، ولأكررن وإن راحت عليهم مائة من الأبل.

وكان عمر بن عبد العزيز يسأل أشياخه فيمن يستحقون الصدقة، فكتب إليه ابن شهاب الزهرى يعدد أصناف المستحقين حتى وصل إلى من به عاهة فى" عمله" أو فى إبان " جهاده" وأضاف السائلين حتى" لا يحتاجوا للسؤال" فهذا منع للفقر قبل أن يقع.

---

(١٢٧) سورة الحديد، الآية : ١١ وفي تفسيرها نقل الدكتور عبد الرحمن يسرى في كتابه (قضايا اقتصادية وحرية معاصرة) عن .. عن عبد الله بن مسعود "لما نزلت هذه الآية قال أبو الدحداح الأنصارى: يارسول الله وإن الله يريد منا القرض؟ قال: "نعم ياأبا الدحداح". قال: أرنى يدك يارسول الله فناوله يده قال: أقرضت ربى حائطى. وبه حائط (حديقة) فيه ستمائة نخلة، أم الدحداح فيه وعيا لهما، فجاء أبو الدحداح فناداها: ياأم الدحداح قالت لبيك. قال اخرجى فقد أقرضته ربى عز وجل. وقيل إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: "رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبى الدحداح في الجنة"

ولعمر بن عبد العزيز نصان: أمر وإليه (عدى بن أرطأة) أن يقرأهما على الناس ليصبحوا على بينة منهما فيطلبوهما لأنفسهم من المسؤلين عنها.

١) (أنظر من عندك من أهل الذمة وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت المال" ما يصلحه")

٢) (وقد بلغنى أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل المدينة يسأل على أبواب الناس فقال:" ما أنصفناك، أخذنا منك الجزيةفى سنيك الأولى، ثم ضيعناك فى كبرك" وأخذه إلى بيت المال وفرض له ما يكفيه).

وعلى هذا ذهب بعض أهل الفقه إلى حق أهل الذمه فى الزكاة.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى واليه وقاضيه على المدينة أبى بكر بن حزم: (من هلك وعليه دين لم يكن فى خرفة (سعة) فاقض دينه من بيت مال المسلمين).

والمسلمون مأمورون بسداد دين المدين من سهم الغارمين فى الزكاة إن لم يسددوه، فى حين نقرأ فى الشريعة الرومانية منذ الألواح الأثنى عشر النص التالى: (إذا عجز المدين عن سداد دينه يسترق إن كان حراً، أو يحبس أو يقتل إن كان رقيقاً).

المبحث الثانى:

زكاة التجارة

حسبنا كلمات قليلة تتصل (بفريضة الزكاة) فى التجارة، وقد تتابع الأمر بالصدقة من أول نزول القرآن بمكة، مقترنة بالصلاة ، لكن الآية التى انتظمت أحكام الزكاة جاءت فى سورة التوبة: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين

والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾[١٢٨].

ويقول- تعالى-: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾[١٢٩] وهذا نص فى وجوب الزكاة على"كل" مال يكتسب من حلال.

ورووا عن سمرة بن جندب: "كان رسول الله يأمرنا أن نخرج الصدقة مما نعد للبيع"

ويشترط لذلك شروط زكاة النقود: من حولان الحول، وبلوغ النصاب المعين - وهو ما يعادل ٨٥ جراماً من الذهب - والفراغ من الدين، والفضل عن الحوائج الأصلية كما يشترط أن يكون العمل بالبيع والشراء بقصد الربح.

والمراد بالسلعة التجارية: السلعة التى أعدت للبيع والشراء لأجل الربح، لا المبانى أو الأثاث أو الأدوات أو السجلات ونحوها مما ليس معداً للبيع والشراء.

والتاجر المسلم يضم: رأس المال، والأرباح، والمدخرات، والديون غير الميؤس من سدادها، ويقوم ذلك مضافاً إلى ما لديه من النقود سواء أستغلها فى التجارة أم لم يستغلها، ويستنزل من مجموع ذلك قيمة ديونه، ثم يخرج الزكاة: ربع العشر ٢,٥٪، فإذا استد بدين كان ميئوساً منه زكاه.

والمعاملات بين أهل الذمة والمسلمين حلال إلا فى السلع المحرمة، فالنبى عامل أهل خيبر على أموالها بنصف ما يخرج منها، على أن يتعهدوها، فهذه شركة فى الزرع والغرس، وفى الثمن.

---

(١٢٨) سورة التوبة، الآية : ٦٠.

(١٢٩) سورة البقرة، الآية : ٢٦٧.

والإمام أحمد يرى أن فصل المال الحرام من المال الحلال يجعل المال الباقى حلالاً.

* * * * * *

لقد نشأ العالم الأوروبى نشأة وثنية تعبد الذات، أو تعبد القوى، أو تعبد الأصنام، وتعكس هذا ثقافة الأغريق والرومان. ثم سقطت روما سنة ٣٩٥م وانهارت الامبراطورية سنة ٤٧٦م لتستغلظ بها ظلمات العصر الوسيط وفيها أنفجر الفجر بالإسلام وأشرقت شمس العلم وشنت أوربه الحروب الصليبية وما تزال تشنها بالوثنية الظالمة لتستعمر الشعوب وتستعبد الناس.

وفى أواخر القرن الثامن الميلادى قسم شارلمان ملك السماوات والأرض مع الكنيسة.

وفى القرن الثامن عشر إزدهرت المعاملات، وكان لأراء (الفريوقراط) ما روج له فى الاقتصاد آدم سميث (١٧٢٣-١٧٩٠) على أساس الحرية الكاملة فى التعامل وفى التربح، فليس للمال- عند الأوروبيين- رائحة وليس لغير صاحبه حق فيه.

وبدأ عصر الآلات فى القرن التاسع عشر الميلادى، وراجت أسواق الإستعمار قروناً حتى أخذت المذاهب الهدامة فى الانتشار "منذرة" بصراع الطبقات ودكتاتورية العمال. والتدخل الحكومى فى النشاط الفردى، واستغل السوفيت حاجة الدول العربية إلى التسليح لخوض الحروب الأربعة التى فرضها على مصر الدفاع عن الأمة العربية فى هذا القرن ابتداء من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٧٣م.

ومنذ أوائل القرن الحالى نودى بقيام مؤسسات إسلامية للاقتصاد، ووجدت مصارف فيها فروع للاقتصاد الإسلامى تتنامى فى جو غير موات لها يستبد به اقتصاد ربوى عالمى.

وسنرى فى العصر الحالى لمجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر قرارات وللمؤتمر العالمى قرارات ولمجمع الفقه بجده قرارات لا تنظر للتفصيلات، وإنما تعنى بالأصول وتعلن تكريم الخالق- سبحانه - للمسلمين بالوصف" الإنسانى" للاقتصاد الإسلامى وتنبه على الحلال والحرام، ومنها ما ينص على الآداب الشرعية من الرفق والقناعة وعدم التدخل فى شئون السوق إلا لخلل فيها.